الكتب

رسالة فى الاسلام

بين هيجل ومحمد عبده

تأليف الأستاذ محمد محمد البهى

عضو بعثة تخليد ذكرى الامام

من أولى نتائج الدرس الذى عكف عليه أعضاء بعثة تخليد ذكرى الأستاذ الأمام محمد عبده ، كتيب قيم وضعه باللغة الألمانية الأستاذ محمد محمد البهى ، الذى لا زال يتابع دراسته فى جامعة هامبورج بألمانيا

ويقول المؤلف فى مقدمة كتيبه هذا إن الدافع له على إصداره هو ما رآه فى ألمانيا من أن الناس فيها لا يفقهون الاسلام على حقيقته ، وقد كوّن رأيه هذا بعد استماعه لأستاذه « نوك » Brof. Dr. Noack فى محاضراته عن « فلسفة التاريخ » لهيجل ، وبعد اشتراكه فى مساجلة الأستاذ شترولمان Brof. Dr. Srtolhmann لتلاميذه فى عدد من المؤلفات عن الاسلام . وبذلك أتيحت له الفرصة ليوازن بين آراء « هيجل » فى الاسلام ، كما جاءت فى كتابه « فلسفة التاريخ » ، وآراء فيلسوف الاسلام الامام محمد عبده ، كما جاءت فى كتابه « الاسلام والنصرانية ، والعلم والمدنية » . وأراد الأستاذ البهى أن يتقدم برسالة فى هذا الموضوع لينال بها الدكتوراه فى الفلسفة ، ولكن غيرته على العلم والدين لم تمهله حتى يستوفى البحث ، فأصدر هذا الكتيب لينفس عن روحه وليطلق فكرته من عقالها ، وكان حقاً موفقاً فى سرد أهم آراء الفيلسوف الألمانى هيجل الخاصة بالاسلام ، ورغم الاجمال الذى التزمه المؤلف فانه ألمّ بتلك الآراء إلماماً حسناً . فذكر كيف أن الاسلام فى نظر الفيلسوف هيجل ، هو صورة صادقة للعقلية الشرقية ، فهو يجمع بين المتناقضين : المسائل التجريدية والمسائل الواقعية . وأن فكرة الآله عند اليهود هى غيرها عند المسلمين — على حد ما يعتقده هيجل ، فيهوا Jehova هو رب الشعب الاسرائيلى فقط ، أما الله فرب العالمين ؛ ويرى هيجل أن المسلمين يعيشون ويحيون من أجل دينهم وتحقيق مبادئه ، وأن حياتهم الدنيوية ليست إلا وسيلة لبلوغ الآخرة وما فيها من متاع . ولهذا كانت فتوحاتهم العظيمة فى آسيا وأفريقيا وأوروبا . وكان التعصب ضد الكفرة على أشده فى بادئ الأمر ، إلا أنه تراخى بعض الشىء ، فاستعيض عن قتل الكافر بفرض جزية سنوية على شخصه ؛ ومع ذلك لم يكن التعصب فى الاسلام مدعاة تخريب وهدم ، كما هى طبيعة التعصب ، بل كان فوق ذلك مدعاة تشييد وبناء . ثم تدرج المؤلف إلى ذكر رأى هيجل فى أن الاسلام كدين يبرر أعمال العنف والقوة لنشره ، كما برر روبسبير Robespierre أعمال العنف والقوة لبلوغ الحرية ؛ وأن الفردية فى الاسلام من التناقض بدرجة تجعل الحاكم الذى يبنى المجد والعظمة والسيطرة لا يتوانى فى أن يضحى بها جميعاً فى سبيل الدين ، وقد لا يلبث إلا قليلاً حتى يستردها دون هوادة ، وأن الخليفة عمر — على حد ما ذكره هيجل — هو الذى أمر باحراق مكتبة الاسكندرية ، بينما الخليفة المنصور كان يجمع العلماء فى مجلسه ويغدق عليهم العطايا ؛ وبحسن معاملته لهم ازدهر الأدب والعلم فى أيامه . ثم ذكر بأن الحريات كانت مكفولة للناس كافة ، لا فرق بين رجل وامرأة ، ولا بين طبقة وأخرى ، حتى كان الرجل من رعاع الناس يدخل على الخليفة فى مجلسه فيحدثه مطمئناً عن كل ما يريد ؛ ولكن عقب ذلك اعتكف الخلفاء والحكام فى قصورهم وأبعدوا الشعب عنهم ، فانقلب الحال إلى الضد . ويرجع « هيجل » أسباب ذلك إلى أن التعصب الدينى كانت قد بردت حرارته ، فبدأت الفاسد تسود المجتمع ، وأصبح الاستمتاع بلذات الحياة شهوة الناس فى هذه الدنيا ، ثم تراجع الاسلام كما

يقول هيجل إلى أفريقيا وآسيا ، ولم تطقه النصرانية إلا فى ركن ضيق من أوروبا . وتلاشى الاسلام كقوة مسيرة لتاريخ العالم . ويعترف هيجل بأن الغربيين أخـذوا عن العرب مختلف العلوم والفنون والمعارف ، وبخاصة الفلسفة ؛ ويقر فيلسوف الألمان أن الاسلام هو أكبر ظاهرة فى تاريخ العالم

غير أن الأستاذ البهى يرى أن هيجل حكم على الاسلام من خلال أعمال بعض المسلمين . وكان الأولى به أن يرجع إلى مصادر الاسلام وهى : القرآن والحديث وما أجمع عليه الأئمة . وعاب على هيجل طريقته فى البحث ، وقال بأنه (أى المؤلف) لن يكون عادلاً فى حكمه إذا ما نسب إلى الدين المسيحى عـداءه للعلم ومحاربته لحرية الفكر ، مستندا فى ذلك إلى بعض الحوادث التى منها :

(١) إعدام (حيباتيا) المصرية Hypatia ، وكانت سيدة من أفذاذ العلماء الرياضيين ، عام ٤١٥ ميلادية أثناء تعقب النصارى للفلاسفة

(٢) إحراق ١٢٢٠ شخصاً بالنار فيما بين سنة ١٤٨١ و ١٤٩٩ ميلادية ، وهم أحياء تنفيذاً لأحكام الرقابة الموضوعة على الكتب وأصحابها

(٣) إحراق جيوردانو بروفو Giordano Bruno ، الذى قال بالوحدانية الربانية

(٤) إحراق الكردينال زعنس Ximenes ٨٠٠٠ مجلد من الكتب العلمية فى غرناطة

إن كل هذه الأعمال لا تؤيدها التعاليم الدينية المسيحية ، وكل بحث يرتكن إلى مثل هذه الأشياء يكون خاطئاً . وهكذا كان هيجل فى بحثه عن الاسلام ؛ واستشهد المؤلف برأى الأستاذ هورتن الذى ذكر فى أحد كتبه : « أن انحطاط المسلمين وعدم قيامهم بأعمال مجيدة سامية لا ترجع الى روح الاسلام ، ولكن الى سوء تصرف الخلفاء وإلى غيره من الأمور ، ونشأ عن ذلك أضرار عديدة بالدين والعادات وسمعة الاسلام » .

ثم ناقش الأستاذ البهى ثمانى مسائل من آراء الفيلسوف هيجل أولها : الفردية فى الاسلام . فهى ليست العمل للآخرة دون سواها ، كما تصورها هيجل ، ولكن العمل للدنيا أيضاً ؛ واستشهد بما جاء فى الذكر الحكيم : « ولا تنس نصيبك من الدنيا » ، وما جاء فى الحديث : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » .

وتكلم فى المسألة الثانية عن الصوم وأن الغرض منه ليس مجرد صحة الأبدان ، بل له غرض معنوى آخر هو إشعار الصائم بوجوب العطف على الفقراء والمساكين

أما المسألة الثالثة فقد حاول فيها الأستاذ البهى أن يثبت بأن الاسلام لم يكن فى كل الحروب التى خاضها إلا مدافعاً عن كيانه . أما فكرة الغزو لاجبار الناس على اعتناق الاسلام ، فليس لها أصل فى الدين . وقد استشهد بآراء هورتن الذى ذكر فى أحد كتبه بأن الحروب الدينية فى الاسلام لم تكن إلا للدفاع عن هجمات الأعداء أو لاخماد فتنة . ولهذا كانت الفكرة القائلة بأن الدين الاسلامى يبرر أعمال العنف والقوة فكرة خاطئة

وعالج المؤلف فى المسألة الرابعة مسألة الجزية على الذميين ، وقال بأن الغرض منها لم يكن إجبار الناس على اعتناق الاسلام بل كانت مجرد ضريبة للمحافظة على أرواح الناس وأملاكهم

أما عن التعصب فى الدين ، وهى المسألة الخامسة فالاسلام لا يعارض العلم ، ولا يعاقب الأحرار من العلماء أو يتعقبهم ، بل دعا الدين الاسلامى إلى الدراسة ، وإلى العلم والمعرفة ، وقد أحيا المسلمون العلماء أيا كانوا ، وأشادوا بذكرهم واحترموهم وبجلوهم ؛ ويكفى أن علماء اليهود فى سورية وعلماء النصارى فى مصر ، كانوا يجلسون مع غيرهم من العلماء فى مجالس الخلفاء والحكام . ولقد نقل المسلمون العلوم إلى بلاد الغرب ، كما أن الاسلام لم يحظر على الناس حرية البحث ، بل ضمن لهم الحرية الكاملة سواء أكانوا من الأولياء أم الأعداء

أما مسألة حرق العرب لمكتبة الاسكندرية ، وهى النقطة السادسة ، فان هذه الدعوى لم تأت فى أى كتاب علمى للتاريخ ، وقد كذبتها دائرة المعارف الاسلامية ، كما كذبها الأستاذ موللر Prof. Müller فى كتابه « الاسلام فى الشرق والمغرب »

وعالج المؤلف فى النقطة السابعة عفاء الدولة الاسلامية ، وقال إن ذلك يرجع إلى أسباب سياسية واقتصادية ، مما ليس له علاقة بالدين ، واستشهد برأى الفيلسوف شبنجلر حيث يقول :

« وإذا كان هيجل قد ختم بحثه عن الاسلام بقوله : «إن قوة الاسلام اختفت كعامل لتكييف تاريخ العالم . . » فعلينا أن نتذكر بأنه يوجد اليوم ثلثمائة مليون مسلم فى العالم »

وأعقب الأستاذ البهى ذلك البحث بآراء الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى الاسلام ، مستندا فى ذلك إلى كتابه « الاسلام والنصرانية ، والعلم والمدنية » — كما ذكرنا فى البدء . وإنا نكتفى هنا بالاشارة إليه ، ليراجعه من يهمه الاطلاع عليه

ابراهيم ابراهيم يوسف

شرح الايضـــاح
فى علوم البلاغة

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

المدرس بكلية اللغة العربية

ذكر جلال الدين الخطيب أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن القزوينى أنه ألف كتابه (الايضاح) وجعله على ترتيب مختصره الذى سماه (تلخيص المفتاح) وبسط القول فيه ليكون كالشرح له ، فأوضح فيه مواضعه المشكلة ، وفصل معانيه المجملة ، وعمد إلى ما خلا عنه المختصر مما تضمنه (مفتاح العلوم) للامام السكاكى ، وإلى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الامام عبد القاهر فى كتابيه (دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة) وإلى ما تيسر النظر فيه من كلام غيرهما — فاستخرج من ذلك كله زبدته ، وهذبه ورتبه حتى استقر كل شىء منه فى محله ، ثم أضاف إلى ذلك ما أداه إليه فكره ولم يجده لغيره ، فجمع بهذا أشتات هذه العلوم كلها ، واستقامت له فيها هذه الطريقة البديعة التى فتن بها الناس بعده وجاراه فيها كل من كتب فى علوم البلاغة الثلاثة إلى الآن

وهو يميل فى مختصره (تلخيص المفتاح) إلى طريقة السكاكى فى العناية بجمع القواعد دون إيراد الشواهد ، ويميل فى الايضاح إلى الجمع بين طريقة السكاكى فى ذلك ، وطريقة عبد القاهر فى العناية بإيراد الشواهد ، وقد امتاز فى إيضاحه على السكاكى فى طريقته بحسن الترتيب ، وبوضوح العبارة وجريها على الأسلوب العربى ، كما امتاز على عبد القاهر بالقصد فى إيضاح القواعد على ما يليق بأسلوب الكتابة العلمية

ولكن العلماء الذين أتوا بعد الخطيب لم تعجبهم طريقة (الايضاح) على ما تمتاز به من هذه الميزات العظيمة ، وفتنوا أيما فتنة بطريقة (التلخيص) فى العناية بجمع القواعد ، وإهمال إيراد الشواهد من منظوم العرب ومنثورهم ، فوضعوا عليه من الشروح المبسوطة مالا يحصى ، ووضعوا على تلك الشروح شروحاً سموها حواشى ، ووضعوا على تلك الحواشى شروحاً سموها تقارير ، وجروا فيها كلها على إهمال ما أهمله الخطيب فى تلخيصه من تلك الشواهد التى لا يستقيم النظر فى هذه العلوم إلا بها ، فجاء كل ما كتبوه على هذه الطريقة حشواً لا فائدة إلا فى القليل منه ، حتى أصبحت طريقة غاية فى العقم ، وغدت دراسة هذه العلوم بها خالية من الثمرة ، عاجزة عن تربية الذوق البيانى

وقد أحسنت كلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر بالعدول عن درس هذه العلوم فى التلخيص وشرحه للسعد التفتازانى إلى درسها فى الايضاح وحده ، ولكن طلاب هذه الكلية يجدون أنفسهم فى حاجة إلى الرجوع إلى هذه الشروح والحواشى والتقارير فى كثير من مواضع الايضاح فى سائر أبوابه ، فيضطرون بحكم هذه الحاجة إلى الرجوع إليها كلها ، واستيعاب النظر فيها ، وتضيع بذلك الفائدة المقصودة من إيثار درس الايضاح عليها

ولا شك أن هؤلاء الطلاب وغيرهم من طلاب هذه العلوم فى حاجة إلى شرح على الايضاح يجاريه فى طريقته ، ويكمل من شواهده ما لم يكمله ، ويزيد عليها ماتدعو الحاجة إليه ، وينظر فى ذلك الحشو الكثير الذى أتخمت به هذه العلوم فيختار منه ما فيه فائدة تتصل بها وما أقل ذلك بينه ، ويهمل ما لا اتصال له بها وما أكثره فيه ، ويؤدى مع ذلك كله واجب النظر العلمى الحديث فى بعض مسائلها ، وقد وفق الله واضع هذا الشرح الجديد على الايضاح إلى ما أراده من هذه الأغراض ، فجزاه الله عنه خير الجزاء

(ص)